AL YAMAMAH مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية

اليمامة

No. 2777
28 - سبتمبر
2023م
13 ربيع الأول
1445هـ

كرسي أ.د. عبد العزيز المانع..
إنتاج 61 عنواناً تأليفاً وتحقيقاً.

وليمة الدموع..
أفكار حول طقوس عاشوراء.

9771319029600

القدية..
عاصمة الازدهار.

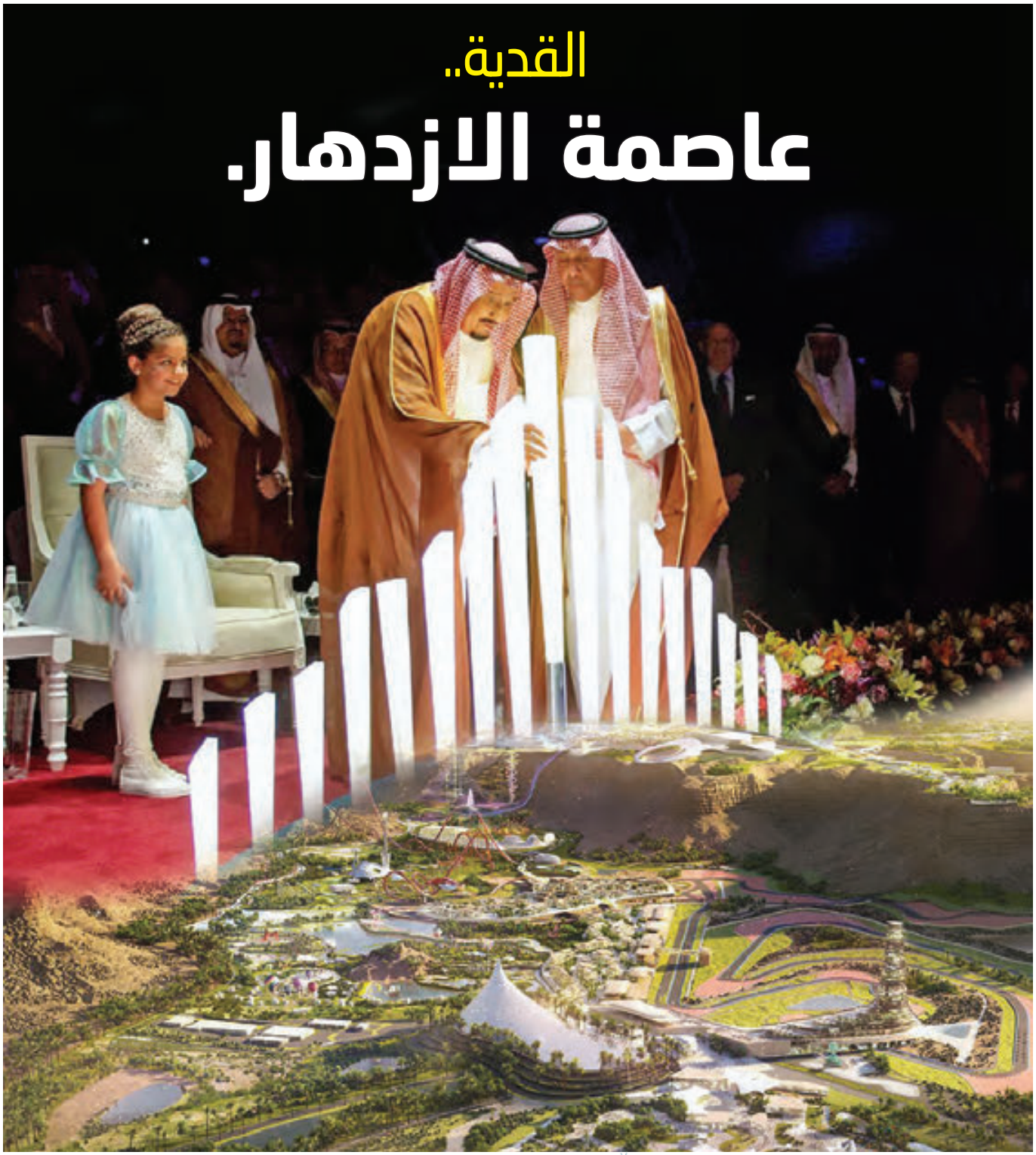

حديث الكتب

د. عبد الحكيم الزبيدي*

في قراءة رواية
« قبل أن يوصد الباب » للكاتب سعد الغريبي ..

المغترب بين إغراء الغربة ونداء الوطن.

يتناول الشاعر والروائي السعودي سعد الغريبي في روايته "قبل أن يوصد الباب"، الصادرة عن النادي الأدبي في منطقة الباحة، ومؤسسة الإنتشار العربي، الشارقة، 2023م، تاريخ العلاقات السياسية والاجتماعية بين اليمن والشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية، وذلك من خلال حياة شاب يمني اغترب في السعودية غربيتين: الأولى حين بلغت الحرب بين الملكيين والجمهوريين ذروتها في اليمن في منتصف الستينيات حتى قرب قيام الوحدة اليمنية عام 1991، والغربة الثانية بعد ذلك بعامين حتى جائحة كرونا.

وقد استعرض الكاتب خلال روايته الأحداث السياسية التي مرت بها اليمن منذ قيام الثورة اليمنية ضد الحكم الإمامي، وموقف المملكة العربية السعودية منها. فالسعودية وقفت في بداية الثورة مع الملكيين ضد الجمهوريين، ولكنها بعد ذلك اعترفت بالجمهورية اليمنية. وكانت السعودية، كما ذكر الكاتب، تعامل اليمنيين المغتربين فيها معاملة خاصة، حيث لم تكن تفرض عليهم نظام الكفيل، فاليمني كان هو كفيل نفسه، يتنقل من عمل إلى عمل كما يشاء، حتى إذا جاء عام 1991م، تغيرت معاملة السعودية لليمنيين وأصبحت تطالبهم، مثل غيرهم من المغتربين، بنظام الكفيل، وسبب ذلك، كما ذكر

الكاتب سعد الغريبي

الكاتب، هو تأييد الرئيس اليمني السابق علي عبد الله صالح لغزو الرئيس العراقي السابق صدام حسين للكويت.

وتحكي الرواية سيرة مغترب يمني أرسله أبوه وهو صبي صغير إلى المملكة العربية السعودية في منتصف الستينيات الميلادية، خوفاً عليه من التجنيد ثم القتل في أحداث حرب الجمهوريين والملكيين، وسافر مع صديق لوالده أضافه معه في جواز سفره باعتباره أحد أبنائه، ووجد له عملا لدى أسرة سعودية في الطائف. وقد عاملته تلك الأسرة كأحد أفرادها، وليس كخادم أو حارس لديهم، إلى درجة أن رب الأسرة سمح له بالالتحاق بالمدرسة، حتى أتم المرحلة الثانوية في الطائف، وبعدها توفي رب الأسرة فانتقل إلى جدة حيث التحق بجامعة الملك عبد العزيز ودرس اللغة العربية. وظهرت مواهبه الأدبية حيث كان ينشر شعره في الصحف، وعمل بعد تخرجه في إحدى الصحف مشرفاً على الصفحة الثقافية، وأحب فتاة سعودية ولكن أهلها لم يوافقوا على زواجه منها بسبب عدم كفاءة النسب وليس بسبب جنسيته اليمنية. وبعد أن اشتهر اسمه، وأصبح شاعراً وأديباً ومثقفاً معروفاً، وأصدر ديوان شعر بعنوان "أنات مغترب" لقي ترحيباً في أوساط المثقفين والنقاد، أتيحت له الفرصة ليتقدم لأسرة يمنية مقيمة فيخطب ابنتهم وفوجئ برفضه بسبب عدم كفاءة النسب أيضاً. ثم قرر العودة إلى اليمن لأنه لم يكن يحمل اسمه الحقيقي، ولأنه علم بتحريم الإسلام أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه.

وقد استطاع الكاتب بهذه العودة، أن يجنب بطله، بذكاء، ما حل باليمنيين في المملكة بعد الوحدة اليمنية وغزو الكويت، حيث خرج اليمنيون من السعودية بالآلاف بعد تطبيق نظام الكفيل عليهم، ولكن بطل الرواية كان في اليمن حينها، ولم يتعرض لما تعرضوا له. كما استطاع بعودته مرة أخرى

إلى المملكة بعد ذلك أن يقارن بين وضع اليمنيين المغتربين في المملكة قبل وبعد ذلك التاريخ، والذي لم يختلف كثيراً إلا في تطبيق نظام الكفيل عليهم أسوة ببقية الوافدين، وما تبع ذلك من عدم السماح للعامل باستقدام أسرته إلى المملكة عكس السابق. فبعد أن أقام بطل الرواية مدة يسيرة في اليمن لم يستطع أن يتكيف مع الوضع الاجتماعي فيها، خاصة مع سوء الأحوال الاقتصادية وارتفاع نسبة البطالة بعد عودة المغتربين من السعودية، وقرر الهجرة مرة أخرى إلى السعودية، ولكن باسمه الحقيقي هذه المرة، واختار مدينة الرياض ليكون بعيداً عن الذين عرفوه في الطائف وجدة حتى لا ينكشف أمره. وحصل على تأشيرة عن طريق الشراء، وقد عمل في الرياض في أعمال مختلفة، آخرها في دار نشر، شريكاً لمالكها السعودي، ولكنه بعد مدة قرر العودة مرة أخرى إلى اليمن، وحين سأله شريكه السعودي عن السبب في اتخاذه هذا القرار قال له إنه يريد أن يعود إلى اليمن "قبل أن يوصد الباب"، وهذا هو عنوان الرواية، وسنشير إلى دلالته فيما بعد.

الرواية بشكل عام جيدة الحبكة، وبدت من خلالها ثقافة الكاتب وحسن اطلاعه على تاريخ اليمن الحديث والأحداث السياسية التي مرت بها، وعادات وتقاليد أهلها، ولهجتهم، وصفاتهم الأخلاقية والاجتماعية، ومدنهم وقراهم، وأسماء مطربيهم، وأطباق مأكولاتهم .. إلخ. والكاتب لم يكن غريباً عن اليمن فقد عاش فيها أربع سنوات، مدرساً ضمن بعثة المدرسين السعوديين الذين كانت المملكة ترسلهم إلى اليمن. وقد عمل الكاتب مدرساً لمادة اللغة العربية في مدارس مدينة صنعاء في أواخر سبعينيات القرن الميلادي الماضي، وعاصر بعض الأحداث السياسية التي مرت

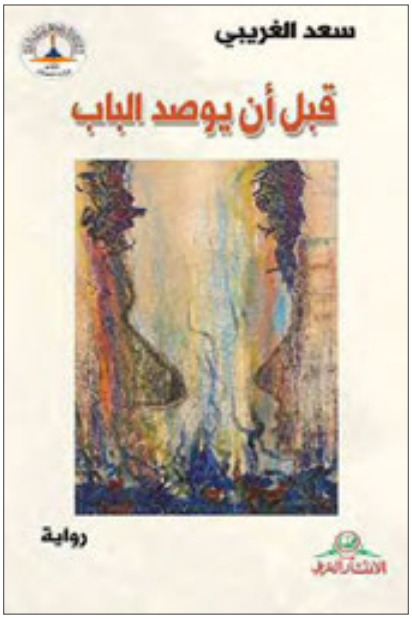

غلاف الكتاب

بها اليمن مثل اغتيال الرئيسين الحمدي والغشمي.

أحداث الرواية تبدو منطقية في تسلسلها، ولكن الكاتب، في رأيي، أسرف في التفاؤل، حين جعل حياة بطل الرواية تسير في يسر وهدوء لا تشوبها المشكلات ولا المنغصات، فرب الأسرة التي عمل فيها خادماً أو حارساً سمح له بأن يلتحق بالمدرسة الصباحية كأحد أبنائه، حتى أنهى الثانوية بتفوق، ولو جعله يسمح له بالالتحاق بالتعليم المسائي لكان أقرب للواقع، في تقديري. كذلك فإن أبناء مخدومه كانوا يعاملونه كأنه واحد منهم، حتى إنهم حين توفي والدهم، جعلوه يقف إلى جوارهم يتلقى العزاء، بدل أن يخدم المعزين. وإن حاول الكاتب أن يذر بعض المنغصات في حياته مثل وفاة أمه الحقيقية في اليمن وكيف أنه لم يستطع أن يبكي عليها لأن أمه المستعارة موجودة في الطائف، وكيف رفضت الأسرتين السعودية واليمنية تزويجه ابنتيهم، ولكن كل هذه لا تعد شيئاً، في رأيي، أمام التحاقه بالدراسة والجامعة وتخرجه وعمله في الصحافة واشتهاره شاعراً وأديباً، وكل هذا قد لا يكون منطقياً مع واقع حياة المغتربين اليمنيين الذين هاجروا من أجل كسب لقمة العيش، ومعظمهم يعملون في أعمال شاقة وصعبة. ولكن الكاتب، في رأيي، أراد أن يبرز حسن تعامل المملكة وأهلها مع المغتربين عموماً واليمنيين على وجه الخصوص، وتوفير سبل العيش الكريم لهم، وهذا حق لا مراء فيه.

بقي أن نشير إلى دلالة عنوان الرواية، وقد شرح الكاتب بشكل مباشر، على لسان البطل، المعنى الذي قصده من ذلك بقوله:

"وعاد عبد الجليل من معرض القاهرة 2020 وعرضت عليه الأمر. قلت له:

• سأرحل قبل أن يوصد الباب دوني.

وضحك، وطلب مني تفسيراً لما أعني بإغلاق الباب، فأجبت:

• قرر صديق أبي المغترب حين بلغ الخمسين العودة النهائية إلى بلاده قائلا: "باب الطمع الدنيوي مشرع دوماً، إن لم تخرج منه في الوقت المناسب أوصد دونك واحتجزك".

وضحك عبد الجليل قائلاً:

• لن يوصده عنك إلا الموت، لا قدّر الله".

فماذا يقصد المؤلف بقوله هذا؟ هل هي دعوة للمغتربين، من كل الجنسيات، أن يعودوا إلى بلادهم حين تتقدم بهم السن، كما فعل البطل وأبوه بالتبني، قبل أن يفجأهم الموت ويحول بينهم وبين العودة؟ وكأنه يقول لهم: مهما سعدتم بالعيش في الغربة، فلا مناص لكم من العودة يوماً ما إلى وطنكم ومواجهة الواقع. ولعلها أيضاً دعوة من المؤلف لليمنيين بأن يواجهوا مشكلاتهم ويعملوا على حلها بدلاً من اختيار الحل الأسهل وهو الهجرة والاغتراب.

* شاعر وباحث من دولة الإمارات